من أخلاق الأنبياء عليهم السلام [٢]

الجمعة ٢٨/ ١/ ١٤٢٨هـ

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ... أمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

تَقَدَّمَ فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ شَيْءٌ مِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَمَّا كَانَ الأَنْبِيَاءُ هُمْ صَفْوَةُ خَلْقِ الله تَعَالَى وَلَهُمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ الدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَكَانَةُ الشَّرِيفَةُ... لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَخْلَاقُهُمْ أَحْسَنُ الأَخْلَاقِ وَأَفْضَلُهَا، وَصِفَاتُهُمْ أَشْرَفُ الصِّفَاتِ وَأَكْرَمُهَا.

وَاسْتِكْمَالًا لِلْحَدِيثِ عَنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُقَالُ:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ لَا يَنْتَقِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَيَنْتَصِرُونَ لَهَا، بَلْ كَانُوا يَتْرُكُونَ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله تَعَالَى، وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ:

مَا ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي خَبَرِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَوْلَادِهِ؛ فَكَانَ فِي شَأْنِ خَبَرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا يُوسُفَ وَأَلْقَوُا الْقَمِيصَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِمْ فَارْتَدَّ بَصِيرًا

أَدْرَكُوا فَدَاحَةَ فِعْلَتِهِمْ فَقَالُوا: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، فَلَمْ يَنْتَقِمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَفْسِهِ رُغْمَ مَا لَحِقَهُ مِنَ الضَّرَرِ النَّفْسِيِّ وَالبَدَنِيِّ بِشَأْنِ مَا فَعَلُوا، بَلْ قَالَ لَهُمْ: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ شَوَاهِدِ عَدَمِ انْتِقَامِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لِأَنْفُسِهِمْ مَا جَاءَ فِي القِصَّةِ نَفْسِهَا فِي خَبَرِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ إِخْوَتِهِ؛ فَمَعَ أَنَّهُمْ آذَوْهُ وَظَلَمُوهُ وَكَذَبُوا عَلَى أَبِيهِمْ فِي شَأْنِهِ، مَعَ كُلِّ هَذَا فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ الأَمْرِ وَبَعْدَ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ، وَقَابَلُوهُ وَشَكُّوا فِي أَنَّهُ يُوسُفُ قَالُوا لَهُ: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، فَلَمَّا تَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّهُ يُوسُفُ وَتَذَكَّرُوا فِعْلَتَهُمْ بِهِ قَالُوا لَهُ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْتَقِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ، بَلْ وَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ مَا قَدْ يُؤَثِّرُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ مَعَاشِرَ

الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ صَفَحَ عَنْهُمْ وَدَعَا لَهُمْ: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

وَمِنْ كَمَالِ أَخْلَاقِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنهُ لَمَّا اجْتَمَعَ بِأَبِيهِ مَعَ إِخْوَتِهِ ذَكَرَ فَضْلَ الله وَنِعْمَتَهُ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ بَعْدَ فُرْقَةٍ وَغَيْبَةٍ فَقَالَ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠]. فَذَكَرَ خُرُوجَهُ مِنَ السِّجْنِ وَلَمْ يَذْكُرْ خُرُوجَهُ مِنَ البِئْرِ حَتَّى لَا يُؤَثِّرَ فِي نُفُوسِ إِخْوَتِهِ، بَلْ وَزَادَ فِي جَمِيلِ أَخْلَاقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبُعْدِهِ عَنِ الِانْتِقَامِ لِلنَّفْسِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ﴾، مَعَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَنْزَغْ مِنْ جِهَتِهِ أَبَدًا، لَكِنَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ أَرَادَ مُرَاعَاةَ شُعُورِ إِخْوَتِهِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا ﷺ: فَكَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ».

فَكَانَ ﷺ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ يَتَحَمَّلُ جَفَاءَ النَّاسِ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَهُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الِانْتِقَامِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، لَكِنْ تَرَكَ ذَلِكَ طَمَعًا فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ ثُمَّ تَأَلُّفًا لِقُلُوبِ النَّاسِ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ: مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَ البُرْدَ مِن نَاحِيَةِ العُنُقِ حَتَّى أَثَّرَ ذَلِكَ فِي عُنُقِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَعْطِنِي مِن مَالِ الله الَّذِي أَعْطَاكَ! فَتبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «**أَعْطُوهُ مِن مَالِ الله الَّذِي أَعْطَانَا**». وَلَمْ يُعَنِّفْهُ وَلَمْ يَأْمُرْ بِالِانْتِقَامِ مِنْهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّهُمْ أَشْكَرُ النَّاسِ لله تَعَالَى.

فَعَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١].

وَأَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وَعَنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

وَعَنْ آلِ دَاوُدَ عُمُومًا: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَمَّا نَبِيُّنَا ﷺ فَمَعَ مَا آتَاهُ اللهُ مِنَ المَنْزِلَةِ العَظِيمَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ كَانَ عَظِيمَ الشُّكْرِ لِرَبِّهِ؛ فَقَدْ كَانَ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟**».

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: الوَفَاءُ بِالوَعْدِ وَالمِيثَاقِ، وَعَدَمُ نَكْثِ المَوَاعِيدِ أَوْ نَقْضِهَا، وَأَعْظَمُ المَوَاثِيقِ مَا أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى رُسُلِهِ، وَقَدْ كَانَ

أَنْبِيَاءُ الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْفَى النَّاسِ بِمَا عَاهَدُوا وَوَاعَدُوا: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

وَأَمَّا وَفَاءُ الوَعْدِ مَعَ النَّاسِ فَكَانُوا ـ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ـ أَصْدَقَ النَّاسِ وَفَاءً: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَمِنْ أَخْلَاقِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنَّهُمْ أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى فِعْلِ الخَيْرَاتِ وَأَلْزَمُهُمْ لَهَا: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].